اتجاهات التحضر فى العالم العربى

د . اسحق القطب(*)

يستهدف هذا البحث الموجز مناقشة الاتجاهات الحالية للتحضر فى الدول العربية ، مستنداً فى ذلك إلى البيانات الديموجرافية المتاحة ، فضلا عما يستوجبه ذلك من الإشارة إلى العوامل المؤثرة فى عملية التحضر .

ويؤدى بنا ذلك إلى البحث عن المشكلات الرئيسية التى تواجه المدن العربية ، مع التركيز بصفة خاصة على تلك المشكلات التى لم تحل بعد .

وتسعى هذه الدراسة فى النهاية إلى القاء نظرة مستقبلية تجاه الدور الذى تلعبه العلوم الاجتماعية بالنسبة إلى عملية التحضر فى الدول العربية .

وحتى نتمكن من مناقشة الملامح الرئيسية للتحضر فى الدول العربية ، يجدر بنا أن نحدد مفهوم « عملية التحضر » .

يذهب بعض العلماء إلى أن عملية التحضر فى الدول المتخلفة يمكن النظر اليها على أنها عملية مكررة ومشابهة لذلك النموذج الغربى فى التحضر ، وعلى ذلك فانه ينبغى التركيز على النماذج النظرية لتلك الاتجاهات الغربية .

وفيما يتصل بالعلماء الاجتماعيين ، نجدهم قد حاولوا تحديد ثلاثة مظاهر رئيسية لعملية التحضر تتلخص فى الجوانب : الديموجرافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .

— وبالنسبة للجانب الديموجرافى فان عملية التحضر قد تمثلت فى ذلك النمو السريع للمدن فى العالم العربى منذ الحرب العالمية الثانية تقريبا حيث تزايدت نسبة قاطنى النمط الحضرى .

(*) أستاذ علم الاجتماع المساعد — جامعة الكويت

— وفيما يتعلق بالجانب الاقتصادى فاننا نجد عملية التحضر وقد تمثلت فى ذلك التحول من المهن الزراعية إلى الأخرى غير الزراعية .

— أما بالنسبة للجانب الاجتماعى فقد ذهب البعض إلى الاهتمام بدراسة الدور الإيجابى الذى تلعبه المدينة حتى تكون مركزاً للتغير الاجتماعى وهى فى سبيل ذلك تسعى إلى تقديم الأنماط الاجتماعية الحديثة ، والتخلص — فى ذات الوقت — من الأنماط التقليدية العتيقة .

ويؤكد الكثيرون على أهمية ما تقوم به المدينة من نشر قيمها وأنماطها المستحدثة فى المناطق الريفية المحيطة بها .

وإذا حاولنا تطبيق تلك الاتجاهات النظرية السابقة على مفهوم « عملية التحضر» فى الدول العربية فاننا نحتاج بالتأكيد إلى تفصيلات أكثر — كيفية كانت أو كمية — (أو الاثنتين) حتى نتمكن من تحليل العمليات الاقتصادية والاجتماعية للتحضر . وأياً كانت القوى التى تسهم فى تشكيل عملية التحضر فى الدول العربية فانها لاتخرج عن كونها مجموعة من المظاهر الديموجرافية ، والاقتصادية والاجتماعية حيث تساهم بدرجات متفاوتة فى هذه العملية .

فمثلا لو تناولنا دراسة حال الدول المنتجة للبترول — فى الوطن العربى ، فاننا سنلحظ أن العامل الاقتصادى (البترول) يمثل قوة أساسية يمكن أن نرجع اليها ما يحققه التحضر — فى تلك الدول — من تغيرات .

وجدير بالذكر أن هناك عوامل أخرى غير التى ذكرت آنفا يمكن أن تشترك فى تكوين عملية التحضر مثل: الاستراتيجية ، والدفاع ، والملاءمة السياسية ، والأهمية الدينية ، والمناخ — وغير ذلك من العوامل التى يصعب حصرها . وقد يحلو للبعض أن ينظر إلى المدينة باعتبارها موقعا اداريا ، وتجاريا ، وصناعيا ، واجتماعيا وثقافيـــا وذلك فى إطار النسق القومى العـــام .

وترتيبا على تلك الأفكار النظرية ، فاننا لوحاولنا دراسة التحضر فى العالم العربى سوف نحتاج بالتأكيد إلى المؤشرات الكمية التى تساعدنا فى الدراسة . ففى سنة ١٩٧٣ بلغ اجمالى سكان العالم العربى حوالى ١٣٧,٨٥٠,٠٠٠ نسمة يقطن منهم حوالى ٤٢٪ المدن (التى تصل أحجام سكانها إلى ٢٠,٠٠٠ نسمة فأكثر) وتمثل هذه النسبة حوالى ٥٨ مليون نسمة .

وإذا كان معدل النمو السكانى فى العالم العربى ٢,٨٪ فى السنة فان سكان الحضر يتزايدون بمعدل مضاعف لتلك الزيادة السنوية .

وحتى يمكن تحليل النمو الحضرى فى الدول العربية فانه يكون من المناسب أن نتعرّض لنمو السكان فى هذه الدول خلال عشر سنوات . والجدول التالى يوضح توزيع السكان فى الدول العربية بين السنوات ١٩٦٤ ، ١٩٧٣ (بالمليون نسمة) .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية

الدولة / السنة	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣*
الجزائر	١١,٦٨	١١,٩٢	١٢,٦٦	١٣,٠٨	١٤,٣٣	١٤,٧٧	١٥,٢٧	١٥,٧٧
مصر	٢٨,٦٦	٢٩,٣٣	٣٠,١٤	٣٠,٩١	٣٣,٣٣	٣٤,٠٨	٣٤,٨٤	٣٥,٦٢
ليبيا	١,٥٦	١,٦٢	١,٦٨	١,٧٤	١,٩٤	٢,٠١	٢,٠٨	٢,١٦
موريتانيا	١,٠١	١,٠٣	١,٠٦	١,٠٨	١,١٦	١,١٩	١,٢٢	١,٢٦
المغرب	١٢,٩٦	١٣,٣٢	١٣,٧٣	١٤,١٤	١٥,٥٢	١٥,٣٨	١٥,٨٥	١٦,٣١
الصومال	٢,٤٥	٢,٥٠	٢,٥٦	٢,٦١	٢,٧٩	٢,٨٦	٢,٩٤	٣,٠٠
السودان	١٣,٣٣	١٣,٧٣	١٤,١٢	١٤,٥٠	١٥,٧٠	١٦,٠٩	١٦,٤٠	١٦,٩٠
تونس	٤,٥٢	٤,٦٢	٤,٧٢	٤,٨٢	٥,١٣	٥,٢٣	٥,٣٣	٥,٥١
البحرين	٠,١٧	٠,١٨	٠,١٨	٠,١٩	٠,٢٢	٠,٢٢	٠,٢٢	٠,٢٣
العراق	٧,٨٠	٨,٠٥	٨,٣١	٨,٥٨	٩,٤٤	٩,٧٥	١٠,٠٧	١٠,٤١
الأردن	١,٨٨	١,٩٥	٢,٠١	٢,٠٨	٢,٣١	٢,٣٨	٢,٤٧	٢,٥٦
الكويت	٠,٤٣	٠,٤٨	٠,٥٢	٠,٥٧	٠,٧٥	٠,٧٩	٠,٨٤	٠,٨٨
لبنان	٢,٣٤	٢,٤١	٢,٤٧	٢,٥٥	٢,٧٩	٢,٨٧	٢,٩٦	٣,٠٦
عمان	٠,٥٥	٠,٥٧	٠,٥٨	٠,٦٠	٠,٦٦	٠,٦٨	٠,٧٠	٠,٧٢
قطر	٠,٠٦	٠,٠٧	٠,٠٧	٠,٠٧	٠,٠٨	٠,٠٨	٠,٠٨	٠,٠٩
المملكة السعودية	٦,٥٨	٦,٧٥	٦,٩٣	٧,١٢	٧,٧٤	٧,٩٧	٨,٢٠	٨,٤٤
سوريا	٥,١٢	٥,٣٠	٥,٤٨	٥,٦٦	٦,٢٦	٦,٤٦	٦,٦٧	٦,٨٩
الإمارات العربية	٠,١٦	٠,١٧	٠,١٧	٠,١٨	٠,١٩	٠,٢٠	٠,٢٠	٠,٢١
اليمن الشمالية	٤,٨٧	٥,١٣	٥,٢٥	٥,٣٧	٥,٧٧	٥,٩١	٦,٠٦	٦,٠٢٧
اليمن الجنوبية	١,٢٠	١,٢٤	١,٢٨	١,٣٢	١,٤٤	١,٤٧	١,٥١	١,٥٦
الإجمالي	١٠٧,٣٣	١١٠,٤٣	١١٣,٩٢	١١٧,١٧	١٢٧,٥٥	١٣٠,٣٩	١٣٤,٠٠	١٣٧,٨٥

Source : United Nations Demographic Year Book, 1973, * pp. 101 — 107

واعتماداً على المقياس الذى يحدد درجة التحضر بناء على نسبة سكان الحضر إلى إجمالى سكان الدولة ، يمكن إجراء التصنيف على الأساس التالى :

- التحضر المنخفض (البطىء) عندما يمثل سكان الحضر ٢٥ (أو أقل) من إجمالى سكان الدولة .
- التحضر المتوسط (المعتدل) عندما يمثل سكان الحضر من ٢٦-٤٩٪ من إجمالى السكان .
- التحضر المرتفع عندما يمثل سكان الحضر ٥٠٪ فأكثر من اجمالى السكان .

ويمكن تصنيف الدول التى سبق عرضها فى الجدول السابق اعتماداً على ذلك المعيار فى المجموعات الثلاث التالية :

(ا) التحضر ذو المستوى المنخفض : ويشمل الدول الآتية :
موريتانيا (٨٪) ، السودان (١٣٪) ، مسقط وعمان (٩٪) ، اليمن الشمالية (١٣٪) .

وتتسم هذه الدول بسمات أهمها : انخفاض الدخل الفردى ، وسيادة النشاط الزراعى ، والصناعات البدائية ، وارتفاع معدلات الأمية .

(ب) التحضر ذو المستوى المتوسط : ويضم الدول التالية :

مصر (٤٤٪) ، الأردن (٤٣٪) ، سوريا (٤٤٪) ، اليمن الجنوبية (٤٠٪) ، تونس (٤٦٪) ، المغرب (٣٧٪) ، المملكة السعودية (٢٩٪) ، ليبيا (٢٩٪) .

وتشهد هذه الدول زيادة سكانية مرتفعة ، وتتجه فى أنشطتها إلى التصنيع ، وتتسم بانتقال سكانها من الريف إلى الحضر . ويرتفع متوسط الدخل الفردى نسبياً عن مجموعة الدول الأولى .

(ح) التحضر ذو المستوى المرتفع : ويشمل الآتى :

الكويت (٨٣٪) ، البحرين (٧٨٪) ، قطر (٧٥٪) ، الإمارات العربية (٦٢٪) ، العراق (٦١٪) ، لبنان (٦٤٪) ، الجزائر (٥٠٪) .

ومن الملاحظ أن كل الدول الواقعة فى هذه المجموعة — باستثناء لبنان — هى من الدول المنتجة للبترول .

وتخصص العوائد الضخمة التى تحصل عليها هذه الدول من البترول ، لزيادة الهياكل الأساسية للمشروعات (مياه — كهرباء — طرق — انشاءات الخ) والتصنيع والخدمات ، والتجارة ومختلف مظاهر النتيجة الحضرية كالصحة ، والنقل ، ووسائل الاتصال . وتتسم هذه الدول بارتفاع نسبى فى متوسط الدخل الفردى .

ويمكن إجمال العوامل المؤثرة فى النمو الحضرى فى الدول العربية فيما يلى :

(١) التحضر كنتيجة للزيادة الطبيعية :

تؤثر العمليات الحيوية للمواليد والوفيات على الحجم الكلى للسكان ويحدد ذلك بالتالى حجم سكان الحضر سواء تم ذلك على المستوى القومى أو الإقليمى أو المحلى .

(٢) التحضر كنتيجة للتصنيع :

هناك علاقة تبادلية بين عملية التحضر وحركة التصنيع فى أى مجتمع من المجتمعات . فالتصنيع يؤثر بدون شك فى معدل التنمية الاقتصادية للمجتمع .

(٣) التحضر والهجرة الريفية — البدوية :

يسعى الأفراد المنتقلون من نمط إلى آخر فى أى مجتمع إلى الحصول على فرصة عمل أفضل ، وأجر أزيد ، ويتوافر ذلك بوضوح فى النمط الحضرى.

واعتماداً على هذه العوامل الثلاثة ، يمكننا سرد أهم المشكلات التى تواجه

عملية التحضر فى الدول العربية فيما يلى :

(١) مشكلات اقتصادية .

(٢) مشكلات فيزيقية .

(٣) مشكلات إجتماعية .

(٤) الفنون والحرف .

(٥) التعليم .

(٦) الحكومة والإدارة .

وتحتاج النظرة المستقبلية للتحضر فى الوطن العربى إلى مسألتين هما :

- التخطيط قصير المدى : ويتضمن العناصر التالية :

زيادة السكان — توطين الصناعة — التخطيط الفيزيقى — التشريعات والإدارة فى المجتمع الحضرى .

- التخطيط طويل المدى : وتحتاج هذه المسألة إلى وجود فريق من المتخصصين يعملون معاً (الديموجرافيون ، والسيسيولوجيون ، والمتخصصون فى الصحة ، والمخططون الفيزيقيون ، والاقتصاديون) .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE FOR RESEARCH AND ARAB STUDIES
جامعة الدول العربية